

(المقالات والآراء)

هل كان الأصمعي

صاحب مؤلف في غريب القرآن

وآخر في الأضداد؟

د. عبد القادر سلامي(*)

مقدمة:

حفل العرب بلغتهم وعنوا بها منذ القدم، وكان أول ما اشتغلوا به الشعر الذي كان ديوانهم الأول، يضمّنونه مآثرهم ويخلّدون فيه أمجادهم وأيامهم، وأضحى لسان حالهم وبه يتفاخرون. ولم يزالوا يعتنون باختيار أحسن اللفظ وأجود العبارة في أشعارهم وخطبهم، حتى جاء التنزيل الحكيم على الرسول الكريم بلغتهم، فبهر الأسماع وشنّف الضمائر وأذهل العقول، وغدا المستوى الصوّابي الذي يقف دونه البلغاء وأصحاب البيان، وأضحى الباعث الأساسي لاهتمام العرب بعلوم لغتهم، وفتّق أذهانهم إلى ضرورة جمعها ودراستها وحفظها من اللّحن والضياع، وهو ما عرف عنهم بمبدأ تنقية العربية.

وقد كان الرعيّل الأول من الصحابة والتابعين وأصحاب السلطان يحضّون على تدارس القرآن والتأمّل في بيانه ولغته، ويحثّون على رواية الشعر الذي هو حكمة العرب في جاهليتهم وإسلامهم فعرفت اللغة أزهى عصورها، وبخاصة في القرون الأربعة الهجرية الأولى، بفضل رجال وأعلام جهابذة ونحارير يجمعون غريبها ومشهورها ويحفظون أيام العرب ونواديرهم المترعة في أشعارهم

(*) أستاذ علوم اللغة واللسانيات في جامعة تلمسان بالجزائر.

وخطبهم. وقد اعتمدوا في ذلك على السماع من شفاه من يعتد بعريبتهم، فقد جدّوا وتحمّسوا عناء الخروج إلى الصحراء للأخذ عنهم، بل لاحقوا الأعراب في مواطنهم المختلفة، حتى ينقلوا اللغة صحيحة سليمة من مصادرها الحقيقية، يحدوهم في ذلك شرف خدمة هذه اللغة الشريفة اللطيفة التي أصبح لهم بها صيت وصارت هي بهم محفوظة ومصونة.

وقد تعاقب ثلاثة أجيال من علماء البصرة والكوفة تجمع اللغة والشعر سماعاً ورواية. ومن هؤلاء اللغويين الأصمعي أبو سعيد الذي ملأ الأسماع في زمانه ومازالت تخلّده آثاره وأخباره التي امتلأت بها كتب الأخبار والتراجم.

وقد اخترت الأصمعي من بين هؤلاء لكثرة ما ورد اسمه في بطون كتبنا اللغوية والأدبية والتاريخية، روايةً للغة والشعر ولما تردّد من ورعه وتقواه. فمن هو الأصمعي؟

أولاً: ترجمة الأصمعي:

هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع^(١) بن أعيان بن سعد بن عبد غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد مناة الباهلي. وعن أبي حاتم (ت ٢٥٥هـ): فهو الأصمعي عبد الملك بن قريب بن عبد الله بن علي بن أصمع بن مُطَهَّر (مظَهَّر) بن رياح بن عمرو عبد شمس بن أعيان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الباهلي أبو سعيد الأصمعي، البصري اللغوي. وقد أصيب الأصمع بالأهواز، وكان قد أدرك النبي ﷺ وكان أبو مطهّر

(١) الأصمع من الصمّع، وهو من كان ملتصق الأذنين صغيرهما. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٣/٣١٠، مادة (صمغ) والقاموس المحيط، ٣/٥٣، مادة (الأصمغ).

مسلمًا، ودُفِنَ بكازمة، قرب البحر طريق اليمامة^(٢).

ويعدّ الأصمعي أحد أئمة اللغة والغريب، والأخبار والملح وال نوادر، روى عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) وحماد بن سلمة بن دينار (ت ١٦٧ هـ)، وغيرهم^(٣). وكان من أوثق الناس في اللغة، وأسرع الناس جوابًا و أحضر الناس ذهنًا. وكان من أروى الناس للرجز، فروي عن أبي حاتم قوله: سمعت عبد الرحمن بن أخي الأصمعي يقول: سمعت عمي يقول: أحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة. (ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص ١٦٨ - ١٧١، ١٦٩)، كما تعزى الرواية إلى عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ)^(٤).

ويروى عن محمد بن عبد السلام الحشني (ت ٦٨٠ هـ) قوله: «كان أبو عبيدة أكثرَ علمًا من الأصمعي وأكثرَ أخبارًا وكتبًا. وكان الأصمعي أحضر جوابًا، وأرضى عند الناس. ولم يُتَّهَم الأصمعي في شيء من دينه، وكان الشعر للأصمعيّ والأخبار لأبي عبيدة. وروى ذلك عن أبي حاتم»^(٥).

ومّا يورده السيوطي عن علم الأصمعي وأخلاقه قوله: قال فيه الشافعي: ما عبّر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي وقال ابن معين أبو زكريا البغدادي

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص ١٦٧ و الفهرست، ص ٢٤٩ والقفطي: إنباه الرواة، ٢ / ١٩٩-١٩٧ و ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣ / ١٧٠ والسيوطي: بغية الوعاة، ٢ / ١١٢.

(٣) ينظر: بغية الوعاة، ١١٢ / روى عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله و أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي البصري (ت ٢٥١ هـ)، و أحمد بن محمد البيهقي (ت ٢٦٠ هـ)، وغيرهم كثير. ينظر: إنباه الرواة، ٢ / ١٩٨.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان، ٣ / ١٧١ و إنباه الرواة، ٢ / ١٩٨، و بغية الوعاة، ٢ / ١١٢.

(٥) طبقات النحويين واللغويين، ص ١٧١.

(ت٢٣٣هـ): ولم يكن مُمَّن يكذب، وكان من أعلم الناس في فنّه. وتناظر هو وسيبويه (ت١٨٠هـ) فقال يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ): الحقّ مع سيبويه وهذا يغلبه بلسانه. وكان من أهل السنّة ولا يفتي إلا فيما أجمع عليه علماء اللغة ويقف عما ينفرّدون عنه؛ ولا يجيز إلا أفصح اللغات^(٦).

أمّا عن سنة وفاة الأصمعي ومبلغ عمره فنّمّة اختلاف بين أصحاب التراجم^(٧). فابن الندم يحدّد وفاته في سنة سبع عشرة ومئتين (٢١٧هـ) ويذكر قولاً لأبي العيناء (١٩٠-٢٨٣هـ) يقول فيه: «توفي الأصمعي بالبصرة وأنا حاضر في سنة ثلاث عشرة ومئتين (٢١٣هـ) وصلّى عليه الفضل بن أبي إسحاق»^(٨)، ولعلّها أرجح الروايات لقرب أبي العيناء منه عهداً.

وأثار الأصمعي كثيرة، منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل، وهي تربو عن الخمسين كتاباً، وهي: خلق الإنسان^(٩) والأجناس والهمز (والمقصود والممدود) والفرق^(١٠) (أو ما خاف فيه الإنسان البهيمّة) والصفات والأبواب

(٦) ينظر: بغية الوعاة، ١١٢/٢.

(٧) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص١٧٤ و بغية الوعاة، ٢/١١٣.

(٨) الفهرست، ص ٢٥٠.

(٩) الفهرست، ص ٢٤٩، و وفيات الأعيان، ٣/٣٧٩. نشره المستشرق الألماني أوغست

هفنر ضمن الكنز اللغوي، سنة ١٩٠٣ م. ينظر: معجم المعاجم ص ٩٥.

(١٠) حققه المستشرق دافيد ميللر ضمن مجلة SBWA، الجزء ٨٣، فينا، ١٨٧٦ م؛ ثم

أعيد طبع الكتاب بدار أسامة، بيروت، بتحقيق صبيح التميمي، سنة ١٩٨٧ م،

ملحقاً به تحقيق دافد ميللر ضمن طبعة أولى.

والمسير والقداح وخلق الفرس والحيل^(١١) والإبل^(١٢) والشَّاء^(١٣) و(الأخبية والبيوت) والوحوش^(١٤) وَقَعْل وَأَفْعَل والأمثال والألفاظ والسَّلاح واللغات والاشتقاق^(١٥) والنوادر وأصول الكلام و(القلب والإبدال) وجزيرة العرب والدلو والرَّحل ومعاني الشعر والمصادر والقصائد الست والأراجيز والتَّحلة (أو التَّحلة) و(النبات والشجر) والخراج وما اتفق لفظه واختلف معناه و(السرج و اللجام و البُرى^(١٦) والعقال) أو (السَّرج واللَّجام والشَّوى^(١٧) والتَّعال والتُّرس والنبَّال) ونوادر الأعراب و(مياه العرب والنَّسب و الأصوات) والمذكر والمؤنث وأسماء الخمر و(ما تكلم به العرب فكثر في أفواه الناس) و(ما اختلف لفظه و اتفق

(١١) حقق الكتاب المستشرق أوغست هفتر، ضمن سلسلة الفلسفة و التاريخ، المجلد

١٣٢، منشورات أكاديمية العلوم فينا، ١٨٩٥ م.

(١٢) نشره وحققه أوغست هفتر بليزج سنة ١٩٠٥م ضمن المجموعة المسماة بالكنز اللغوي. ينظر: معجم المعاجم، ص ١٠٥.

(١٣) حققه صبيح التميمي في طبعة أولى، عن دار أسامة، بيروت، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(١٤) حققه المستشرق رودلف غاير، ضمن سلسلة الفلسفة والتاريخ بمنشورات أكاديمية العلوم، فينا، سنة ١٨٨٨ م، تحت عنوان ((أسماء الوحوش وصفاتها)).

(١٥) نشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة ١٩٨٠م، ضمن سلسلة روائع التراث اللغوي، بتحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، بعنوان "اشتقاق أسماء الأشياء".

(١٦) البرى: جمع بُرّة: خَلَاقَةٌ توضع في أنف البعير، يقال: نَاقٌ مُبْرَأَةٌ وجملاً مُبْرَى. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ١/٢٣٤، مادة (بروى).

(١٧) الشَّوى: ويطلق على رذال المال، وعلى جلدة الرُّأس واليدين والرَّجْلين والأطراف وكلِّ ما غير مُقْتَلٍ. والشَّوايا: بقية قوم هلكوا، الواحد شَوِيَةٌ؛ وإمَّا سُمِّيَتْ بذلك لقلَّتها وهونها. قالوا: والشَّوَائِيَةُ: الشيء الصغير من الكبير كالقطعة من الشَّاة. وتُقال في المال للشيء اليسير الذي بقي منه. ينظر: المصدر السابق، ٣/٢٢٤، مادة (شوى) والقاموس المحيط، ٤/٣٥٢، مادة (شوى).

معناه) وفتوح عبد الملك بن قريب (أو ما يقصد به كتاب الأصمعيات^(١٨)) والدَّارات^(١٩) و(التَّخل والكَّرَم)^(٢٠) وفحولة الشعراء^(٢١) وغريب الحديث و(غريب الحديث والكلام الوحشي) والأنواء والأضداد^(٢٢) (٢٣).

على أنّ ما نُسب إليه من كتاب في غريب الحديث والأنواء والأضداد هو ممّا لا نستطيع الاطمئنان إلى صحّة نسبته إلى الأصمعي ولعلّها من الكتب المنسوبة خطأً إليه. والأمر ينطبق على غريب الحديث والكلام الوحشي، نظرًا إلى رأي الإمام أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) في الأصمعي، وهو صاحب

(١٨) نشره أهلوارد ضمن مجموعة من الشعر المختار أسماها «الأصمعيات»، طبع في لبيز، سنة ١٩٠٢م، ثم أعيد طبعها تحت التسمية نفسها عن دار المعارف بمصر بطبعة ثانية، سنة ١٩٦٣م، ضمن سلسلة ديوان العرب - مجموعات من عيون الشعر ٢- بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون.

(١٩) نشره أوغست هفتر وطبعه في المطبعة الكاثوليكية ببيروت، سنة ١٩٠٨م. (٢٠) نشر في أعداد السنة الخامسة من مجلة المشرق، ثم أعيد نشره على حدة، ثم نشر للمرة الثالثة ضمن المجموعة المسماة بالبلغة في شذور اللغة، نشره أوغست هفتر وطبعه في المطبعة الكاثوليكية ببيروت، سنة ١٩٠٨م. ينظر: معجم المعاجم، ص ١١٨.

(٢١) نشر له توري كتاب «فحولة الشعراء» وطبع في مجلة ZDMG، سنة ١٩١١م، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (برقم ٧٤٥ أدب تيمور).

(٢٢) نشره أوغست هفتر وطبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م، مع كتابي السجستاني وابن السكيت في الأضداد والذيل للصغاني ضمن ثلاثة كتب في الأضداد الذي ستكون عمدتنا في الدراسة.

(٢٣) ينظر: الفهرست، ص ٢٤٩-٢٥٢، ٤٠٣ ووفيات الأعيان، ٣/٣٧٩، ١٧٦، وإنباه الرواة، ٢/٢٠٢-٢٠٣ و بغية الوعاة، ٢/١١٣.

الستن والتصانيف المشهورة: «صدوق، وكان يتقي أن يفسر الحديث، كما يتقي أن يفسر القرآن»^(٢٤) ونظرًا إلى «تحوُّبه من الكلام في الأنواء»^(٢٥)، وكون كتابه في الأضداد قد تولى نشره المحقق أوغست هفغر وطبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م، مع كتابي السجستاني وابن السكيت في الأضداد والذيل للصغاني ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، لم يروه المحقق عن الأصمعي إلا عن طريق الرواية أو الإملاء على نحو ما فعل بكتاب العين للخليل، وذلك بقوله: «كتاب الأضداد عن الأصمعي»^(٢٦).

هذا وعمل الأصمعي الكثير من دواوين الشعراء، منها: ديوان النابغة الذبياني، وديوان الحطيئة، وديوان النابغة الجعدي، وديوان لبيد، وديوان دريد بن الصمة، وديوان الأعشى الكبير، وديوان المهلهل ومنتهم بن نويرة. كما روى شعر: امرئ القيس ورؤبة بن العجاج ونقائض جرير والفرزدق^(٢٧).

ثانيًا: التأليف المستقل في الغريب والأضداد وحظ الأصمعي فيه:

تعدّ كتب غريب القرآن مثالاً لمرحلة التأليف المستقل^(٢٨) مع بداية عهد

(٢٤) ينظر: بغية الوعاة، ١١٢/٢.

(٢٥) ينظر: الخصائص، ٣/٣١١.

(٢٦) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، ص ٥.

(٢٧) ينظر: الفهرست، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٢٨) ويوضع عادة في مقابل التأليف المختلط الذي بدأ بجمع النوادر وغرائبها، لجهل معظم الناس بها وضالهم في استعمالها وفهمها، ويقوم على جمع الألفاظ الغريبة والنادرة ومعرفة معناها ومواضع استعمالها من النصوص الشعرية والنثرية من قصائد وأقوال مأثورة دون منهج معين في عرض هذه المواد، مع اهتمام واضح بالمسائل النحوية والصرفية وسرد الأخبار والأنساب العربية. ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب، ١٢١-١٢٧.

العرب بالرواية والتدوين^(٢٩)، وهي كتب تعنى بجمع الألفاظ التي تبدو غريبة على القارئ في القرآن الكريم.

ويعزى أول كتاب في غريب القرآن إلى الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨هـ)^(٣٠)، وقد عرف عنه أنه كان يسأل عن معاني مفردات القرآن الكريم، فيفسرها تفسيراً لغوياً مستشهداً في شروحه تلك بأدلة من الشعر العربي القلم^(٣١).

غير أن بعض الآراء تشكك في نسبة الكتاب إليه، وتوحي أنه قد يكون من مرويات تلاميذه عنه^(٣٢). ولعل ما أورده أبو حجر العسقلاني (ت ٨٦٢ هـ) على تأخره، في كتاب الإصابة، يقطع بصحة نسبته إليه حين قال: «وأولى ما يرجع إليه في ذلك، أي في تفسير غريب القرآن، ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الصحيحة الثابتة»^(٣٣).

ثم تعاقبت كتب كثيرة في غريب القرآن لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١ هـ)^(٣٤)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ)^(٣٥) والنضر بن

(٢٩) الدراسات اللغوية عند العرب ص ٨٤ - ١٤٦.

(٣٠) المعجم العربي نشأته و تطوره، ص ٣٩. غير أن أبا هلال العسكري (ت بعد ٤٠٠ هـ) عدّ أبا عبيدة معمر بن المثنى أول من صنّف في غريب القرآن، فقال: «صنّف كتاب (المجاز)، وأخذ ذلك من ابن عباس حين سأله نافع بن الأزرق (ت ٦٥ هـ) عن أشياء من غريب القرآن ففسرها له واستشهد عليها بأبيات من شعر العرب. وهو أول ما روي في ذلك، وهو خيرٌ معروفٌ». من كتاب الأوائل، ص ٣٩٥.

(٣١) الدراسات اللغوية عند العرب، ص ٨٣ والمعجم العربي في لبنان، ص ١٢.

(٣٢) الدراسات اللغوية عند العرب، ص ١٤٧.

(٣٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ٢ / ٣٣١.

(٣٤) بغية الوعاة، ١ / ٤٠٤، والمعجم العربي نشأته و تطوره، ٣٩ - ٤٠.

(٣٥) الفهرست، ص ١٦٦.

شُميل (ت ٢٠٣ هـ)^(٣٦)، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت بعد ٢٠٦ هـ)^(٣٧)، و
أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)^(٣٨)، وأبي سعيد بن قريب الأصمعي (ت
٢١٣ هـ)^(٣٩)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)^(٤٠). ولكن لم يصل إلينا
من تلك الفئة المتقدمة سوى كتاب مجاز القرآن^(٤١) لأبي عبيدة^(٤٢)، ومعاني القرآن
للفراء (ت ٢٠٧ هـ)^(٤٣)، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط، (ت ٢١٥ هـ)^(٤٤)، وتفسير
غريب القرآن وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)^(٤٥) وتفسير غريب القرآن

-
- (٣٦) المعجم العربي نشأته وتطوره، ص ٤٠.
(٣٧) الفهرست، ص ١٦٦.
(٣٨) المصدر السابق، ص ١٦٩، و طبقات النحو بين اللغويين، ص ١٧٦.
(٣٩) بغية الوعاة، ١١٣/٢ والمزهر، ٣٢٨/٢.
(٤٠) الفهرست، ص ١٦٩.
(٤١) ورد في اللّمع في أصول الفقه تحت عنوان «المجاز في القرآن» وأنه من تصنيف أبي
عبيدة. ينظر: اللّمع في أصول الفقه، ص ٨.
(٤٢) طبع الكتاب بتحقيق محمد فؤاد سركين، بنشر الخانجي بمصر، ١٩٥٤ م، ١٩٦٢ م، في
جزأين؛ ثم أعيد طبعة ثانية عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ م، في جزأين كذلك.
(٤٣) طبع الكتاب الطبعة الأولى عن عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٥٥ م، ثم في طبعة ثانية
بتحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، سنة ١٩٨٠ في ثلاثة أجزاء.
(٤٤) طبع الكتاب بتحقيق فايز فارس طبع الكتاب بتحقيق فايز فارس في طبعة أولى ثم
ثانية عن داري البشير والأمل، سنة ١٤٠٠هـ-١٩٧٩هـ و١٤٠١هـ-١٩٨١هـ، في
جزأين؛ ثم بالكويت في طبعة ثالثة، سنة ١٩٨١ م في مجلدين.
(٤٥) طبع الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر تحت عنوان تفسير غريب القرآن، عن دار
الكتب العلمية سنة ١٣٩٨ هـ. وهو في حقيقة أمره تمة لكتاب تأويل مشكل القرآن؛
لأن اللفظ الغريب من المشكل الذي أرأغ ابن قتيبة إلى توضيحه وتبيين دقيقه وإنما أفرد
الغريب بكتاب، لئلا يطول كتاب المشكل، ينظر: مقدمة تحقيق تفسير غريب القرآن، ص
(ج). وطُبع كتاب تأويل مشكل القرآن بعناية وشرح السيد أحمد صقر في طبعة ثالثة، عن
دار المكتبة العلمية، بيروت سنة ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م.

لأبي عبدالله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٣١٦هـ)^(٤٦).
وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأسماء الثلاثة (غريب القرآن، ومجاز القرآن، ومعاني القرآن) مترادفة أو كالمترادفة في عرف المتقدمين، وقد وهم كثير من الباحثين المتأخرين، فقالوا: إن مجاز القرآن من كتب البلاغة لا من كتب التفسير، وهو خطأ شائع^(٤٧).

وتعدّ كتب الأضداد مثلاً آخر للتأليف المستقلّ. والأضداد جمع ضدّ، وهو مصطلح أطلقه اللغويون على الألفاظ التي يكون الواحد منها دالاً على معنى وعلى ضده المنافي له في الدلالة^(٤٨). ويمكن تحديد حقبة التأليف في الأضداد عند علمائنا القدامى بداية من القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري ضمن تأليف مستقلة لم يصل إلينا بعضها^(٤٩).
وقد وصل إلينا منها كتاب لكل من^(٥٠):

١- أبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب^(٥١) (ت بعد ٢٠٦هـ).

(٤٦) منه مخطوطة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة في ١٨٨ صفحة تمّت كتابتها عام ١٠٤٠هـ. (ينظر: معاجم المعاجم، ص ١٠). على أنّ محمد عبد القادر محقق المأثور من اللغة (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبي العميّل عبد الله بن خلود الأعرابي (ت ٥٤٠هـ)، أحال عليه بالجزء والصفحة وباسم «غريب القرآن» (ينظر: مقدمة تحقيقه، ص ٩ هامش ٧) بما يوحي بأنّ الكتاب طبع إن لم يكن قد حقّق.

(٤٧) مقدمة تحقيق تفسير غريب القرآن، ص (ج).

(٤٨) الأضداد لابن الأنباري، ص ١.

(٤٩) ينظر: معاجم المعاجم، ص ٢٩٥ - ٣٠٠.

(٥٠) من المتأخرين الذين ألغوا في الأضداد أبو محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد حسن آل ياسين في المطبعة الحيدرية في النجف بالعراق سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ضمن نفائس المخطوطات (ينظر: معاجم المعاجم، ص ٢٩٩-٣٠٠)، وأبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠هـ) وقد طبع الكتاب المستشرق أوغست هفترسنه ١٩١٣م، في بيروت، وجعله ذليلاً لثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن السكيت.

- ٢- أبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي^(٥٢) (ت ٢١٣هـ).
- ٣- أبي سعيد عبد الملك بن محمد بن هارون التوزي^(٥٣) (ت ٢٣٣هـ).
- ٤- أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت^(٥٤) (ت ٢٤٤هـ).
- ٥- أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني^(٥٥) (ت ٢٥٥هـ).
- ٦- أبي بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري^(٥٦) (ت ٣٢٨هـ).
- ٧- أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١هـ).

ثالثاً: رأي الأصمعي في الأضداد:

جاء في أضداد الأصمعي: ((يُقَالُ: الْمَسْجُورُ: الْمَمْلُوءُ، وَالْمَسْجُورُ: الْفَارِغُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٥٧) أَي فُرِّغَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ،

(٥١) نشره أوغست هفنر، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت ويليهما ذيل في الأضداد للصَّغاني، وصدر عن دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان ١٩١٣م.

(٥٢) طبع الكتاب بتحقيق حسين آل ياسين، بمجلة المورد العراقية، العدد الثالث من المجلد الثامن، سنة ١٩٧٩م. ينظر: معجم المعاجم، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٥٣) نشره أوغست هفنر، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت ويليهما ذيل في الأضداد للصَّغاني، وصدر عن دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان ١٩١٣م.

(٥٤) نشره أوغست هفنر، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت ويليهما ذيل في الأضداد للصَّغاني، وصدر عن دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان ١٩١٣م.

(٥٥) طبع كتاب الأضداد بدائرة المطبوعات والنشر بالكويت سنة ١٩٦٠م، بتحقيق أبي الفضل إبراهيم.

(٥٦) طبع كتاب الأضداد في كلام العرب في مجلدين، بدمشق، سنة ١٩٦٣م، بتحقيق عزة حسن.

(٥٧) الآية ٦ من سورة التكوير.

وحكى أبو عمرو: سَجَرَ السَّيْلُ الْفُرَاتَ يَسْجُرُهَا سَجْرًا إِذَا مَلَأَهَا، وَالْبَحْرُ الْمَسْجُرُ الْمَلَان، قَالَ النَّيْمُ بْنُ تَوَلِّبٍ، وَذَكَرَ وَعَلًا:
 إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجِرَةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسِمَا^(٥٨)
 ومعنى طالع: أتى، أي أتاها. يقال: طالعت ضيعتي... ويُقال: هذا ماءٌ
 سَجْرٌ: إِذَا كَانَ مَاءٌ بِئْرٍ قَدْ مَلَأَهَا السَّيْلُ، وَيُقَالُ: أَوْزِدُوا مَاءَ سُجْرًا^(٥٩).
 وهو ماقام أبو حاتم السجستاني بتخرجه بعد أن أشار إليه بقوله^(٦٠):
 «وقالوا المسجور: المملوء. وهو قولُ النَّيْمِ بْنِ تَوَلِّبٍ:

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجِرَةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسِمَا
 وقال بعضهم: الْمَسْجُورُ الْفَارِغُ، بَلَّغَنِي ذَاكَ وَلَا أُدْرِي مَا الصَّوَابُ وَلَا أَقُولُ فِي
 «الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ»^(٦١) شَيْئًا وَلَا «إِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ»^(٦٢)؛ لِأَنَّهُ قُرْآنٌ فَأَثِقُ
 بِهِ، وَقَالُوا قَالَتْ جَارِيَةٌ بِالْحِجَازِ: إِنَّ حَوْضَكُمْ لَمَسْجُورٌ وَلَمْ تُكُنْ فِيهِ قَطْرَةٌ، قَالَ
 أَبُو حَاتِمٍ: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا عَلَى التَّفْوِيلِ^(٦٣) كَمَا يُقَالُ لِلْعَطْشَانِ رَبَّانٌ
 وَلِلْمَلْدُوحِ السَّلِيمِ، وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي الْمَسْجُورِ، وَهُوَ يَعْنِي الْمَمْلُوءَ:
 صَفَّقَنَ الْحُدُودَ وَالنُّفُوسَ نَوَاشِرًا عَلَى ظَهْرِ مَسْجُورٍ صَحُوبِ الصَّفَادِعِ
 وَمَا رَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي أُضْدَادِهِ قَوْلُهُ فِي بَابِ (نَهَل): (قَالَ أَبُو زَيْدٍ (ت ٢١٥هـ):

(٥٨) السَّاسِمُ: سَجْرٌ تُعْمَلُ مِنْهُ الْقِسِي، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ الْأَبْتُوسُ. الْأُضْدَادُ لِابْنِ
 السَّكَيْتِ، ص ١٦٩.

(٥٩) يَنْظُرُ: الْأُضْدَادُ لِأَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبِ الْأَصْمَعِيِّ، ص ١٠ وَالْأُضْدَادُ لِابْنِ
 السَّكَيْتِ، ص ١٦٨.

(٦٠) الْأُضْدَادُ لِأَبِي حَاتِمِ السَّجْستَانِي، ص ١٢٦.

(٦١) سُورَةُ الطُّورِ الْآيَةُ ٦.

(٦٢) سُورَةُ التَّكْوِينِ الْآيَةُ ٦.

(٦٣) التَّفْوِيلُ وَالتَّفَاوُلُ بِمَعْنَى. يَنْظُرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ، ٢٨/٤، مَادَّةُ (الْفَال).

النَّاهِلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعَطْشَانُ، وَالنَّهْلُ: الَّذِي قَدْ شَرِبَ حَتَّى رَوَى، قَالَ النَّابِغَةُ (السَّرِيع) (٦٤):

الطَّاعُنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَنْهَلُ مِنْهَا الْأَسْلُ (٦٥) النَّاهِلُ
أَي يَرَوَى مِنْهَا الْعَطْشَانَ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْأَنْثَى نَاهَلَةٌ وَالْجَمِيعُ نَهَالٌ، وَرَجُلٌ
مُنْهَلٌ أَيْ مُعْطِشٌ، وَإِبِلٌ نَهَالٌ أَيْ عِطَاشٌ يَتَطَيَّرُونَ بِهَا مِنَ الْعَطَشِ فَيَقُولُونَ: هَذِهِ
إِبِلٌ نَاهَلَةٌ، وَالنَّهْلُ: الشُّرْبُ الْأَوَّلُ، يُقَالُ لِلَّذِي شَرِبَ أَوَّلَ شَرِبَةٍ وَأَمَّ يَعُدُّ نَهْلًا يَنْهَلُ،
وَأَنْهَلَ الرَّجُلُ إِبِلَهُ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ فِي النَّاهِلِ (السَّرِيع) (٦٦):

إِذْ هُنَّ أَقْسَاطٌ كَرَجَلِ (٦٧) الدَّبِي (٦٨) أَوْ كَقَطَا (٦٩) كَاظِمَةٌ (٧٠) النَّاهِلِ
أَقْسَاطٌ: قِطْعٌ مِنَ الْخَيْلِ، وَالنَّاهِلُ هَاهُنَا: الْعَطْشَانُ (٧١). فَقَدْ شَبَّهَ أَمْرُو الْقَيْسِ

(٦٤) ديوانه، ص ٢٠٩.

(٦٥) الْأَسْلُ: الرِّمَاحُ وَالنَّبْلُ وَاحِدَتَاهَا أَسْلَةٌ، وَالْأَسْلَةُ: كُلُّ عُودٍ لَا عِوَجَ فِيهِ وَمِنَ اللَّسَانِ طَرْفُهُ، وَمِنَ النَّصْلِ وَالذَّرَاعِ مُسْتَدَقُّهُ وَمِنَ التَّعْلِ رَأْسُهَا. يَنْظُرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ٣/٣٣٨، مَادَّةُ (الْأَسْلُ).

(٦٦) ديوانه، ص ١٤٨.

(٦٧) الرَّجُلُ: الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَرَادِ، جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الْوَاحِدِ. يَنْظُرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ١/٣٩٣، مَادَّةُ (الرَّجُل).

(٦٨) الدَّبِي: أَصْعَرُ الْجَرَادِ وَالنَّمْلُ. يَنْظُرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ٤/٣٢٨، مَادَّةُ (الدَّبِي).

(٦٩) قَطَا: جَمْعُ قَطَاةٍ، وَهِيَ طَائِرٌ يَقُطُّ فِي الْمَشِيِّ، أَيْ يُقَارِبُ فِيهِ. يَنْظُرُ: مَعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ، ٥/١٠٤-١٠٥، مَادَّةُ (قَطُو) وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ٤/٣٨٠، مَادَّةُ (قَطَا).

(٧٠) كَاظِمَةٌ: مَوْضِعٌ عَلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ وَفِيهَا رَكَيَا كَثِيرَةٌ وَمَاؤُهَا شَرُوبٌ. يَنْظُرُ: طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ٤/١٧٤، مَادَّةُ (كَظْم).

(٧١) الْأَضْدَادُ لِلْأَصْمَعِيِّ، ص ٣٧-٣٨.

الخيل في سُرعتها بقطع من الجراد أو بقطا عطاشٍ تطلُبُ الماءَ فهي لا تألُو طَيْرَانًا.
 أمّا أبو حاتم القريب عهدا من الأصمعي فيرى أنّ: «النَاهِلُ: العَطْشَانُ،
 والنَاهِلُ: الرَّيَّانُ، قال الأصمعي: النَّاهِلُ: الشَّارِبُ، يُقَالُ: أَنَهَلْتُهُ سَقَيْتُهُ الشَّرْبَةَ
 الأولى وَعَلَلْتُهُ: سَقَيْتُهُ مَرَّتَيْنِ أو أَكْثَرَ، فَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعَطْشَانِ نَاهِلٌ عَلَى التَّفْوِيلِ كَمَا
 يُقَالُ: مَفَازَةٌ لِلْمُهْلِكَةِ عَلَى التَّفْوِيلِ، وَيُقَالُ لِلْعَطْشَانِ: يَا رَيَّانُ، وَلِلْمَلْدُوغِ: سَنِ لِيمٌ،
 أَي سَيْسَلَمٌ وَسَيَّرَوَى وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعْنَى فَازَ بَجَاءٍ، فَالْمَفَازَةُ: الْمُنْجَاهَةُ، كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(٧٢)، أَي بِمَنْجَاةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٧٣).
 وكما قالوا: «بَصِيرٌ: لِلْبَصِيرِ وَالْأَعْمَى، وَلِلزُّجْحِيِّ: أَبُو الْبَيْضَاءِ، وَقَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ شِقِّ
 الْأَحْسَاءِ^(٧٤) لِي أُمُّ بَصِيرَةٌ: يَرِيدُ عَمِيَاءَ»^(٧٥).

فأبو حاتم يوقفنا على مدى تعقّف المتقدمين (والأصمعي أحدهم) من
 الخوض في كتاب الله، خاصّة الأمر يتعلّق بظاهرة يمكن تعليل أغلب ألفاظها
 بحملها على التفاضل أو التطيّر أو التهكّم، أو التعبير بلفظ محبوب عن لفظ
 مكروه، أو العكس تفكّرها أو تقييحًا. فالمنسجور، مثلاً: هو «الملان» عند

(٧٢) الآية ١٨٨ من سورة آل عمران.

(٧٣) الأضداد لأبي حاتم السجستاني، ص ٩٩، ١١٤ وينظر: الأضداد للأصمعي،

ص ٣٧-٣٨ والأضداد لابن السكيت، ص ١٩١.

(٧٤) الأحساء: جمع حسي وهو «الرَّمْلُ المتراكم أسفلهُ جَبَلٌ صَلْدٌ، فإذا مُطِرَ الرَّمْلُ نَشَفَ

ماءُ المطر، فإذا انتهى إلى الجَبَلِ الذي أسفلهُ أُمْسَكَ الماءَ ومنعَ الرَّمْلُ حَرَّ الشَّمْسِ أن
 يَنْشَفَ الماءَ، فإذا اشتدَّ الحَرُّ نُبِثَ وجهَ الرَّمْلِ عن ذلك الماءِ فبيعَ بَارِدًا عَذْبًا». الأضداد

لأبي حاتم السجستاني، هامش (٢) ص ١٣٩.

(٧٥) الأضداد لأبي حاتم السجستاني، ص ١٣٨-١٣٩.

الأصمعي وابن السكيت^(٧٦)، ولكن خوفاً من أن يفرغ قيل له: الفارغ أيضاً^(٧٧).
وورد عن الأصمعي وأبي عبيدة^(٧٨) قولهما: «الجوُن: الأَسْوَدُ والجوُنُ
الأَبْيَضُ»^(٧٩). وقال ابن السكيت: «قال الأصمعي: وعرض أنيس الحزبي
وكان فصيحاً على الحجاج دزغ حديد وكانت صافية، فجعل لا يرى صفاءها

(٧٦) ينظر: الأضداد للأصمعي، ص ١٠ والأضداد لابن السكيت، ص ١٦٧.

(٧٧) والجدير بالذكر هنا أن المستشرق رد سلوب (Rodslop) يخرج من الأضداد ألفاظ
التهكم والاستهزاء مثل: «عاقِل» التي تقال للمعتوه، و«يا سليم» التي تقال تفاؤلاً
للمريض. ينظر: الأضداد لمنصور فهمي، ص ٢٣٥.

(٧٨) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، مولد بني تميم؛ تيمم قریش، رهط أبو بكر
الصدیق. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) النحو
والشعر والغريب. ولد في البصرة سنة ١١٢هـ على الأرجح، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد،
وقرأ عليه أشياء من كتبه. وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارهم،
وأكثر الناس رواية، وهو أول من صنف في غريب الحديث. وعن منزلته العلمية يقول الجاحظ
(ت ٢٥٥هـ): «لم يكن في الأرض خارجي (لأنه كان يُقال: إنّه كان خارجياً يرى رأي
الخوارج الإباضية وكان شعوبياً) ولا جماعي أبصر بجميع العلوم من أبي عبيدة». صنف الجاز
في غريب القرآن، والأمثال في غريب الحديث ومعاني القرآن، وأيام العرب، وخلق الإنسان،
وما تلحن فيه العامة وغيرها كثير. توفي سنة ٢١٠هـ على الأرجح. (ينظر: طبقات النحويين
واللغويين، ص ١٧٨، ١٧٥ وبغية الوعاة، ٢/٢٩٤-٢٩٦ والفهرست، ص ٢٣٩ والبيان
والتبيين، ١/٣٣١ وابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/٢٣٨). وإذا كان لنا أن نبدي رأياً في
أمر شعوبية أبي عبيدة وفق ما رآه الجاحظ، فإننا نستبعد هذا الأمر؛ لأنه لا يتعدى
الآحاد، كما لا يعدو أن يكون رد فعل لحادثة معينة أو لأكثر من حادثة، خاصة أننا لا
نعرف الظروف التي برز فيها مثل هذا التفضيل.

(٧٩) الأضداد للأصمعي، ص ٣٦ وينظر: الأضداد لابن السكيت، ص ١٨٩.

فقال: لَيْسَتْ بِصَافِيَةٍ، فقال: أُنَيْسُ: إِنَّ الشَّمْسَ جَوْنَةٌ يعني شديدة الضوء حتى غَلَبَ ضَوْعُهَا بَيَاضَ الدَّرْعِ»^(٨٠).

على أن أبا حاتم السجستاني يرى فيما تقدم من أمر الجون ما يدل على نسيان الأصل والالتفات إلى المظهر فيه، ويعده علةً أخرى لنشأة التضاد^(٨١). فالعَلَبَةُ في (الجون) عند أبي حاتم للسواد، لقوله: «ويُقَالُ الجُونُ للأسود ويُقالُ للأبيض، والأَكْثَرُ الأسود... وقالوا: أُوتِيَ الحَجَّاجُ بِنُ يُوْسُفَ بَدْرِعٍ حديدٍ فَعَرَضَتْ عليه في الشَّمْسِ وكانت الدَّرْعُ صَافِيَةً فَجَعَلَ لا يَرَى صَفَاءَها، فقال: له رَجُلٌ كَانَ فَصِيحًا: الشَّمْسُ جَوْنَةٌ فقد فَهَرَتْ لَوْنِ الدَّرْعِ، أَرَادَ بالجَوْنَةِ البَيَضَاءُ الشَّدِيدَةَ البَرِيقِ والصَّفَاءِ»، وقال بعضهم: «بَلْ عَرَضَهَا على الحَجَّاجِ فقال الحَجَّاجُ: الشَّمْسُ جَوْنَةٌ أَي نُحِّها عن الشَّمْسِ»^(٨٢).

فالأصلُ في (الجون) أن يطلق على السحابة، ومنها الأسود والأبيض، فغفل الأصمعي وابن السكيت والناس عن الأصل (السحابة) وفتنوا- فقط- لمظهرها من السواد والبياض، فأطلقوا الجون عليهما. وبذلك يكون البناء على الأصل والمظهر، ليس من الأضداد؛ لأنَّ السحاب لا يُطلق مجردًا من كلِّ صفة^(٨٣).

ومما يمكن أن يحمل عند أبي حاتم على العلة نفسها قوله على سبيل التثبُّت عن أبي عبيدة، وهو صاحب «مجاز القرآن»، دون أن يخوض في

(٨٠) الأضداد لابن السكيت، ص ١٨٩ ولم نجد للرواية ذكرًا في كتاب الأضداد للأصمعي.

(٨١) ينظر: المشترك اللغوي نظريَّةً وتطبيقًا، ص ١٥٤ وقد نسبة المؤلف للخضري في كتابه الأصول، ص ١٧٤.

(٨٢) الأضداد لأبي حاتم السجستاني، ص ٩١-٩٢.

(٨٣) ينظر: المشترك اللغوي نظريَّةً وتطبيقًا، ص ١٥٤-١٥٥ وقد نسبة المؤلف التعليق للخضري في كتابه الأصول، ص ١٧٤.

تفسير ما ورد من أمثلتها في القرآن الكريم «قال أبو عبيدة: القُرْءُ واحدُ القُرْوءِ: الدُّخُولُ في الحَيْضِ وكذلك: الخُرُوجُ منه إلى الطُّهْرِ، أَقْرَأَتِ المرأَةُ: حَاضَتْ، وَأَقْرَأَتْ: طَهَّرَتْ، وَأَقْرَأَتِ التُّجُومُ: إذا تَحَوَّلَتْ من مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ»^(٨٤). فالأصل في القُرْءِ أو الإقراء هو التحول مطلقاً من موضع إلى موضع ومنه تحوّل المرأة من وضع الحَيْضِ إلى وَضْعٍ مغاير تماماً وهو الطُّهْرُ. وليس المعنى الأوّل من باب الحقيقة والثاني من باب المجاز. ولذلك رأينا أبا حاتم لا يحفل كثيراً بقول الأصمعي وابن السكيت: إنّ «القُرْءَ عند أهل الحجاز الطُّهْرَ وعند أهل العِرَاقِ الحَيْضُ»^(٨٥).

على أنّ ما ظهرت ضدّيته وثبت بالتقل والسمع وإن كان ممّا يمكن تفسيره، هو من باب اتّساع المعنى ليشمل غيره، فلم يُورد الأصمعي أحرفه ضمن الأضداد، وفضّل السُّكُوت عنه؛ لأنّه في القرآن الكريم، وإن لم يجد أبو حاتم بُدّاً من إثباته. فقد قال أبو حاتم للأصمعي يوماً: «من الأضداد الكَرِيّ والغَرِيْمُ، فقال: صَدَقْتَ؛ لأنّه يُقال: للمُكْتَرِي كَرِيٌّ وكذلك للمُكْتَرِي منه، ويُقال للذي عليه الدَّيْنُ: غَرِيْمٌ وللذي له الدَّيْنُ غَرِيْمٌ، وكذلك: التَّبِيْعُ للذي يَتَّبِعُ امرأَةً يَتَعَشَّقُهَا وكذلك المُتَّبِوعَةُ تَبِيْعٌ... وفي القرآن: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيْعًا﴾^(٨٦) وأظنّه فأعلاً (أي تابِعًا) والله أعلم»^(٨٧).

ويبدو أنّ الأصمعي سلك مسلكاً آخر في إثبات ضدّية ما كثر دورانه في

(٨٤) الأضداد لأبي حاتم السُّحْستاني، ص ٩٩.

(٨٥) الأضداد للأصمعي، ص ٥ وينظر: الأضداد لابن السكيت، ص ١٦٣.

(٨٦) من الآية ٦٩ من سورة الإسراء.

(٨٧) الأضداد لأبي حاتم السُّحْستاني، ص ١٠٢ وينظر: الأضداد لابن السكيت، ص ١٨٠.

القرآن الكريم وأيدته الشواهد الكثيرة من الشعر العربي،^(٨٨) وهو عدم الخوض فيه والتزام الشكوت حياله. فمما يروى عنه في ذلك ما يذكره ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في الجمهرة في (باب ما اتفق عليه أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) وأبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) فهو يقول: «وكان الأصمعي يشدد فيما ينقل ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ، وقد طعن في أبيات قالتها العرب، واستشهد على ذلك. فمن ذلك: بَانَ لِي الْأَمْرُ وَأَبَانَ لِي وَأَنَارَ لِي الْأَمْرُ

(٨٨) وهو ما عبّر عنه أبو حاتم السجستاني بعد إيراد بعض شواهد بقوله: «وهو كثير في القرآن»، أو «وهو كثير جداً في الأشعار والقرآن» (الأضداد لأبي حاتم السجستاني، ص ٨٣). ومن ذلك قوله: «الظُّنُّ فِي الْقُرْآنِ شَكٌّ وَالظُّنُّ يَقِينٌ». (ينظر: المصدر السابق، ص ٧٧). فالشُّكُّ قوله: «إِنَّ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ» (الآية ٣٢ من سورة الجاثية). ومن اليقين: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ» (من الآية ٤٦ من سورة البقرة). ومن ذلك (وَرَاءَ) تكون في معنى خَلْفٍ ومعنى قُدَامٍ وهو ما عدّه أحد الدارسين المحدثين من باب تساهل اللغويين في تكثير معاني اللفظ الواحد ، بحسب اختلاف مؤدّى المعنى باختلاف المواقع نحو تفسيرهم (وراء) بمعنى أمام ، ولو فسّرت وراء ، في رأيه، بمعناها الأصلي كان معنى الآية: كان خَلْفَهُمْ مَلِكٌ يَتَعَقَّبُ أَصْحَابَ السُّنَنِ فَيَغْتَصِبُ سُنَنَهُمْ. ينظر: الأضداد لمنصور فهمي، ص ٢٣٦)، ففي القرآن في معنى «بَعْدِ خَلْفٍ» قوله تعالى: «فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» (الآية ٧١ من سورة هود). و«إِنَّ خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي» (من الآية ٥ من سورة مريم)، والموالي: هُم بَنُو الْعَمِّ ، وقول العَرَب: بَلَعَنِي ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ، وفي القرآن الكريم في معنى قُدَامٍ قوله: «وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا» (من الآية ٥ من سورة مريم)، يعني: قُدَامَهُمْ وَأَمَامَهُمْ. حدّثني أبو عامر العقدي قال حدّثني سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَرَأَ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا»، وقال تعالى: «وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ» (من الآية ٧٩ من سورة الكهف) أي من بين يَدَيْهِ، وهو كثير في القرآن. (الأضداد لأبي حاتم السجستاني، ص ٨٣). ثم قال: «وهو كثير جداً في الأشعار والقرآن». (المصدر السابق، ص ٨٣).

وأثار إليّ. إلى أن وصل إلى سرى وأسرى فلم يتكلم فيه الأصمعي لأنه في القرآن^(٨٩)، وهذا الأمر لا يُعدم تدخّله الصّريح فيما عدا ذلك. فقد استفسر ابن دريد أبا حاتم عن أمر باع وأباع، فقال: «سألت الأصمعي عن هذا فقال: لا يُقالُ أبا، فقلتُ قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني:

وَرَضِيْتُ آلاءَ الكُمَيْتِ فَمَنْ يَبِيعُ فَرَسًا فَلَيْسَ جَوَادُنَا بِمُبَاعِ

فقال: أي غير مُعرض للبيع. قال الأصمعي: لعلها لغة لهم بمعنى أهل اليمن^(٩٠) على أنّ ما وافق القرآن الكريم بوجه من الوجوه من أمثلة ذلك فإنّ الأصمعي لا يتردّد في قبوله والإقرار بصوابه، وإن بدا له غير ذلك من وجه من وجوه القياس في اللغة التي انتهت إليه. من ذلك من قوله: «هوى من علُو إلى سفلٍ وأهوى: إذا غشي. قال أبو بكر: قلت لأبي حاتم: أليسَ قد قال الشاعر:

هَوَى زَهْدَمٌ^(٩١) تَحْتَ العَجَاجِ لِحَاجِبٍ

كما انْقَضَ بازٍ أَفْتَمٌ^(٩٢) الرَّشِّ كَاسِرٌ

فقال: أحسبُ الأصمعي أنسي هذا وهو بيتٌ فصيحٌ صحيح. وقال شمع

ابنُ أحمر يقول:

أَهْوَى لَهَا مِشْقَصًا^(٩٣) حَشْرًا فَشَبْرَقَهَا^(٩٤)

(٨٩) جمهرة اللغة، ٣/٣٣٤ (باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة).

(٩٠) المصدر السابق، ٣/٤٣٦ (باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة).

(٩١) زهدم: فرس لعنترة وفرس لبشر بن عمرو الرحيمي. وتطلق على الأسد والصقر أو فرخ البازي. ينظر: القاموس المحيط، ٤/١٢٨، مادة (زهدم).

(٩٢) الأفتم: الأسود. ينظر: المصدر السابق، ٤/١٦٢، مادة (القتام).

(٩٣) المشقص: نصر عريض أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش. ينظر: المصدر السابق، ٢/٣١٨، مادة (الشقص).

كُنْتُ أَدْعُو قَدَاها^(٩٥) الإِثْمِدَ^(٩٦) القَرْدَا^(٩٧)

فاستعمل هذا و أنْسِي. قال أبو بكر أدعو: أجعل. يقول البَصْرِيُّون، قال الله عزّ وجل: ﴿أَنْ دَعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾^(٩٨)، أي جعلوا، فاستعمل الأصمعي هذا وأنْسِي ذاك^(٩٩).

رابعاً- نسبة كتاب في غريب القرآن إليه في الميزان:

شكك الدكتور حسين نصّار في نسبة كتاب في غريب القرآن إلى الأصمعي وتابعه الدكتور حسين آل ياسين موافقاً^(١٠٠)، وهي نسبة لم يزعمها غير السيوطي (ت ٩١١هـ)، وذلك بناءً على ما نسب إلى الأصمعي من أنه كان يتحرّج كثيراً في التعرض لألفاظ القرآن بالشرح والتفسير^(١٠١).

ونجد في أنفسنا ميلاً إلى مثل هذا التحريج بما يقطع بعدم صحة نسبة كتاب في غريب القرآن إلى الأصمعي. فقد ورد في بيان إعجاز القرآن للخطّابي

(٩٤) شبرق: قطع ومزق. يقال: شبرقت اللحم: قطعته، وشبرقت الثوب: إذا مزقته. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢/٢٧٢، مادة (شبرق).

(٩٥) القذى: خلاف الصفاء والخُلوص. من ذلك القذى في الشراب: ما وقع فيه فأفسده. ويكون في العيّن كذلك. يقال: قذيت قذى، إذا صار فيها القذى. وقد يثها: أخرجت منها القذى. ينظر: المصدر السابق، ٥/٦٩، مادة (قذى).

(٩٦) الإثمد: حجر للكحل. ينظر: القاموس المحيط، ١/٢٩٠، مادة (التمد).

(٩٧) القرد: جمع قردة. وما تمعط من الوبر والصوف أو ثنأيته ومن السعف: ما سُلّ خوصها. ينظر: المصدر السابق، ١/٣٣٨، مادة (القرد).

(٩٨) الآية ٩١ من سورة مريم.

(٩٩) جمهرة اللغة، ٣/٤٤٠، (باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة).

(١٠٠) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب، ص ١٥٠.

(١٠١) ينظر: المعجم العربي نشأته و تطوره، ص ٤٠ وينظر: المزهري، ٢/٢٨٢.

(ت٣٨٨هـ) قوله: «ومن هنا تهيّب كثيرٌ من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حدراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان، فقهاء في الدين؛ فكان الأصمعي، وهو إمام أهل اللغة، لا يُفسّر شيئاً من غريب القرآن. وحكي عنه أنه سُئل عن قوله سبحانه: ﴿قد شَعَفَهَا حُبًّا﴾^(١٠٢) فسكت وقال: هذا في القرآن، ثمّ ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شِعَافٌ؟ ولم يزد على ذلك أو نحو هذا الكلام»^(١٠٣).

وورد في المخصص لابن سيده (ت٤٥٨هـ) أنّ الأصمعي قال متحدّثاً عن أسنان أولاد الإنسان، وهو صاحب كتاب في خلق الإنسان^(١٠٤): «هو أول ما يولد صبيٌّ ثمّ طفلاً ولا أدري ما وقته أي إلى إيّ وقتٍ يُقال له ذلك. «أبو حاتم» (وهو من القريين زماناً من الأصمعي إذ توفي سنة ٢٥٥هـ): إمّا قال ذلك لأنّه في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ثمّ يخرِجُكُمْ طِفْلاً﴾^(١٠٥)، وكان الأصمعي لا يفسّر القرآن»^(١٠٦).

كما أورد أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) في طبقاته ما يؤيد صحة ذلك حين قال الأصمعي فيما سمع عن العباس بن الفرّج الرياشي البصري (ت ٢٥٧ هـ) - وهو من المتقدمين والمعاصرين للأصمعي عهداً - وهو يقول: كان الأصمعي لا يجيء عبثه مع ذكر الإسلام. فكان إذا ذكر أصحاب الأهواء

(١٠٢) من الآية ٣٠ من سورة يوسف.

(١٠٣) ينظر: بيان إعجاز القرآن، ص ٣٤.

(١٠٤) ينظر: الفهرست، ص ٢٥٠ و بغية الوعاة، ١١٣/٢.

(١٠٥) سورة غافر الآية ٦٧.

(١٠٦) المخصص، ٣١/١.

يحوط الإسلام، كما كان قليل الحديث بهذه الملاحظة التي في الشعر^(١٠٧)، إذا لم يسمع من الشعر ما كان فيه هجاء، أو كان فيه ذكر النجوم، لقوله ﷺ: (إذا ذكرت النجوم فأمسكوا) ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما في القرآن و هو ما شهد له به المبرد (ت ٢٨٥ هـ) - أحد معاصريه كذلك^(١٠٨) وهو ما نقله السيوطي (ت ٩١١ هـ) عنه بأمانة^(١٠٩).

فهل لنا بعد هذا الذي قدّمنا له بالدراسة والتحليل إلا أن نقول: أيعقل أن ينسب السيوطي إلى الأصمعي كتابا في غريب القرآن بعدما قر لديه ما كان عليه الرجل من الورع والتقوى والتحرّز في تفسير القرآن الكريم؟ غير مستبعدين في الوقت نفسه أن يكون قد صدر ذلك منه من باب الافتتان بشخص الأصمعي الذي كان يفسر لعلمه بغريب اللغة بالقرآن الكريم^(١١٠) أو التزيّد

(١٠٧) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص ١٧٠.

(١٠٨) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٣/٢٧٥.

(١٠٩) ينظر: المزهري، ٢/٣٢٨.

(١١٠) إذ لا يستبعد أن يكون قد سقط إليه ما تناهى إلى مسمع ابن جني من أمثله. (ومن ذلك إنشاد الأصمعي لشعبة ابن الحجاج قول فرّوة بن مسيك المرادي):

فَمَا جَبُنُوا أَيَّ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ رَأَوْا نَارًا تَحْسُ وَتَسْفَعُ

فقال شعبة: ما هكذا أنشدنا سيمّاك بن حرب. إنما أنشدنا: (تَحْسُ) بالشين معجمة. قال الأصمعي: فقلت: تَحْسُ: تَقْتُلُ، من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْسُوتُهُمْ بِأَذِيهِ﴾ (آل عمران/ ١٥٢)، أي تَقْتُلُوهُمْ، وتَحْسُ: تُوقَدُ. فقال لي شعبة: لو فرغت للزمته. (الخصائص، ٣/٢٩٢)، وهو ما حدا بابن جني إلى أن ييؤاه مكاناً مرموقاً

عليه^(١١١) أو من باب الاستقراء الناقص^(١١٢) «حتى كأنه لم يتأد إليه توقفه عن

من (باب في صدق النَّقْلَة، وثِقَةُ الرَّوَاةِ والحَمَلَة) حين قال بشأنه: وهذا الأصمعي - وهو صنَّاجُهُ الرَّوَاةِ والنَّقْلَة، وإليه محطُّ الأعباءِ والنَّقْلَة، ومنه نُجِّي الفِـقْرُ والمَلْحُ، وهو رِجَانَةُ كُلِّ مُعْتَبِقٍ ومُصْطَبِحٍ - كانت مَشْيِخَةُ الفُرَّاءِ وأمانتُهم تحضره - وهو حَدَثٌ - لأخذ قراءة نافع عنه. ومعلوم كم قَدَّر ما حَدَفَ من اللغة، فلم يثبت؛ لأنَّه لم يَقْوِ عنده، إذ لم يسمعه (المصدر السابق، ٣/٣١١). وهو افتتان - كما ترى لا يقلُّ عن افتتان السيوطي - جرياً على ما افتتن به ابن جني (ينظر: المصدر السابق، ٢ / ١٦٤) - ببديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقتزنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألَّيْنَ والأخْفَى والأَسْهَلَ والأَهْمَسَ لما هو أذنى وأقلُّ وأخفُّ عملاً وصوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والأشدَّ والأظْهَرَ والأَجْهَرَ لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً (المزهر، ١/٥٣) وإن كنا لا نقوى على نسبة ذلك كله إلى ابن جني مذهباً.

(١١١) ينظر ما نسبته السيوطي إلى أبي علي القالي (ت ٥٦٦هـ) من أنه قال: «التُّظْفَة: الماء تقع على القليل منه والكثير، وليس بضدِّ» (المزهر، ١/٣٩٧، ٣٩٢)، وهو ما لم نجد له أثراً في كتاب الأمالي ولم نقرأ لأحد ذكر القالي منكرًا أو مثبتاً له. وإذا ثبت ذلك عن القالي فلنا أن نؤيِّدُه فيما ذهب إليه بدليل آخر، «وهو أنَّ اللفظة إن كانت من الأضداد فينبغي أن تدلَّ على صفتي الكثرة والقلة دون اشتراط أن يكون الماء هو الموصوف، أمَّا تخصيصها بالماء فيجعله محور الدلالة في اللفظ بمعزل عن وصفه بالكثرة أو القلة، وبهذا لا تكونُ التُّظْفَةُ من الأضداد» (التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص ٢٠٦) أو الزعم أو اعتماد الرأي القائم على الاستقراء الناقص. (من ذلك ذهابه إلى القول إنَّ أبا علي القالي، وهو تلميذ ابن دريد (ت ٣٢١هـ)، يرفض القول بالتضاد لقوله في أماليه: «الصَّرِيمُ: الصُّبْحُ سَمِّيَ بذلك؛ لأنَّه انصرم عن الليل، والصَّرِيمُ: اللَّيْلُ؛ لأنَّه انصرم عن النَّهار وليس هو عندنا ضِدًّا»). (الأمالي في لغة العرب،

تفسير القرآن وحديث رسول الله ﷺ وتحوُّبه من الكلام في الأنواء^(١١٣). ولذا كان الاعتماد على سرد أسماء بعض مؤلفاته على يد بعض المترجمين كالسيوطي، أمراً مورطاً في الخطأ.

سادساً - نسبة كتاب في الأضداد إليه في الميزان:

إنّ سؤال أبي حاتم وإجابة الأصمعي عليه وكثرة إحالات ابن السكيت وأبي حاتم على الأصمعي، وهما القريبان عهداً منه، إلّا فيما عدا ألفاظ التضادّ في القرآن الكريم تجعلنا نطمئنّ إلى رأي الأصمعي في الأضداد وأنّه صاحب تأليف مستقل فيها، وقد رسم لنفسه هدفاً من وراء تصنيفه وهو ضرورة التفريق بين التضادّ الذي لا يمكنُ حمله إلّا على المقلوب في كلام العرب والمزائل عن جهته^(١١٤)، والتضادّ الذي تؤيِّده شواهد القدماء ووَرَدَ شعراً وفي القرآن الكريم، مع الإقرار بأنّ الأضداد في لغة العرب قليلة وألفاظها مخلوطة وشواهداها مبثوثة. ولكن ليس على الصّورة التي انتهى إلينا بها. وممّا يدعم مذهبنا الأخير هذا أنّنا دللنا، بعد أن شككنا في موضع سابق من هذا البحث في نسبة كتاب

٣٢٢/٢ وينظر المزهري، ١/٣٩٧)، ممّا يدلّ على تمسّكه بأصل المعنى وهو القاطع ولا يرى من الأضداد ما تفرّغ عنه أو تداخل فيه. (ينظر: رواية اللغة، ص ٣٣٩). غير أنّ الاعتماد في رأينا على رواية السيوطي في الحكم على ما ذهب إليه أبو علي القالي من أمر الأضداد.

(١١٢) الخصائص، ٣/٣١١.

(١١٣) وهو جزءٌ من عنوان أبي حاتم السّجستاني في الأضداد وقد سمّاه (المقلوب لفظه في كلام

العرب والمزائل عن جهته، والأضداد). ينظر: الأضداد لأبي حاتم السّجستاني، ص ٧٢.

(١١٤) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، ص ٥٠، ٦١.

في «غريب القرآن» إليه، لما عرفنا عنه من ورع وتعفف من التعرض لأي القرآن الكريم. فهل يُعقل أن ننسب إليه أقوالاً في التضاد تدخل ضمن تفسيرات وردت في كتابه الأضداد الذي لم يروه المحقق عن الأصمعي إلا عن طريق الرواية أو الإملاء، على نحو ما فعل بكتاب العين للخليل. فقد كتب المحقق يقول: «كتاب الأضداد عن الأصمعي» ثم جاء في نهايته «تم» ولم يزد على ذلك^(١١٥)، علمًا بأن كتاب الأضداد لأبي حاتم قدم له على أنه من تأليفه «من نسخة أبي بكر محمد بن الحسن بن سعد الأزدي التي كانت لتلميذه محمد بن بكر بن محمد بن المسيب البسطامي، وأخبرنا عن ابن دُرَيْد جماعة من شيوخنا أنه أجاز لهم أن يرووا عنه، منهم: أبو عبيد الله محمد بن عمران ابن موسى الموزناني وأبو الحسن محمد بن يوسف الناقط وأبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطَّلِب الشَّيْبَانِي»^(١١٦) ودلَّ في نهايته على أنه: «آخر كتاب الأضداد لأبي حاتم» مع إشارة واضحة إلى أن «فَرَّغَ من نَسْخِهِ في السَّابع من شهر شعبان من سنة تِسْعٍ وستَمائة كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه أحمد بن التَّصِيرِ بن بنا (؟) بن سَلِيم الكَاتِب عَفَرَ اللهُ لَهُ ولوالديه ولجميع المسلمين»^(١١٧). وتكرر موقف المحقق نفسه مع كتاب ابن السكيت في الأضداد مع فارق يسير في التقديم والإحالة^(١١٨).

وبناءً على ما سبق، فإنَّ «كتاب الأضداد عن الأصمعي» ممَّا لا يجوز أن

(١١٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٧١.

(١١٦) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٧.

(١١٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٠٩، ١٦٣.

(١١٨) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٠٩، ١٦٣.

يُحمل على أصغر أتباع الأصمعي فضلاً عن نفسه، ولا محالة أنّ ما لحق هذا الكتاب من تخليط - يعدّ الأصمعي براء منه - أتاه من قبيل غيره رحمه الله. وإذا كان للأصمعي فيه عمل، فإتّما هو أنّه أوّماً إلى عمل هذا الكتاب - على نحو ما فعل الخليل بكتاب العين - ولم يله بنفسه ولا قرّره ولا حرّره.